

اللسانيات الاجتماعية في نمطها الكمي Social linguistics in their quantitative pattern

د. قويدر شنان

جامعة محمد بوضياف - المسيلة (الجزائر)

kader.che2000@yahoo.com

تاريخ النشر: 2018/12/01

تاريخ القبول: 2018/10/26

تاريخ الإيداع: 2018/05/26

الملخص:

إن اللسانيات الاجتماعية تغطي مساحة واسعة من البحث في مقومات الظاهرة اللغوية، وتتداخل جزئياً مع حقول أخرى منها الأنثروبولوجيا وعلم اللهجات... بعض القضايا التي سوف نراها فيما يتعلق بالتحويل الأسلوبي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتداولية اللسانية، والتحوارية أو التفاعل الحوارية، وذلك فيما يخص العناصر المتعلقة بالتحليل السياقي للمتخاطبين، كما تصب محاورات هذا العمل وتتداخل مع حقل التعليمية وهندستها. ونقصد من خلال هذا العمل إلى بحث توجه في اللسانيات الاجتماعية يعرف بالاتجاه الكمي، وسنحاوله ببعد لساني أكثر منه اجتماعي. الكلمات المفتاحية: اللسانيات الاجتماعية؛ الأنثروبولوجيا؛ التحويل الأسلوبي؛ التحوارية؛ الاتجاه الكمي؛

Abstract.

Social linguistics covers a wide range of research on the components of the linguistic phenomenon, and interferes partially with other fields, including anthropology and dialectics. Some of the issues that we will see concerning the stylistic transformation are closely linked to linguistic pragmatics, dialogue or dialogue interaction, which are also linked with The contextual analysis of the interlocutors, as well as this work interfere with the field of didactics. So, we aim Through this work to examine a current in social linguistics known as quantitative current, and we will discuss it with a linguistic rather than a social dimension

Key-words : stylistic; transformation; contextual analysis; Social linguistics; linguistics

البحث:

طراً في العقود الأخيرة من القرن العشرين تطور في فرع من اللسانيات عرف باللسانيات الاجتماعية (Sociolinguistique)، ويشغل هذا التصور على دراسة الظاهرة اللغوية في بعدها الاجتماعي، أي وهي مستعملة تفاعلياً بين المتكلمين في سياق تفاعلي ومقامي معين، ويعود هذا التسارع إلى تقدم الوسائط التواصلية وعلى رأسها آليات التسجيل لعينات الكلام في سياقات طبيعية صوتاً وصورة بالإضافة إلى تقدم طرائق التحليل والمعاينة والروز أو الترشيح، التي تجمع بين المستويات اللسانية من الفونولوجيا إلى بنية المحاور وآلياتها، وقد قدم اللسانيون أسئلة من قبيل المواقف اتجاه اللغة وعلاقة المتكلم باللغة، ودور المتحدث في التغيير اللغوي، وهي قضايا يمكن بحثها بالطبع عملياً وعلمياً.

من المعروف أن أكبر أعمال اشتغلت في هذا المجال هي أعمال لابوف (1966-1977)⁽¹⁾، ويهتم هذا المنوال بشكل كبير بالكشف عن أنماط التنوع في التجمعات الكلامية، أي استعمال اللغة والاختلافات الاجتماعية من حيث الجنس والمستوى الثقافي والاقتصادي والحضاري.

لاشك في أن العلاقات بين الظواهر اللغوية والظواهر الاجتماعية، وتأثر اللغة بالعادات والتقاليد والنظام الاجتماعي في زمان ومكان معينين قائمة منذ أن وجدت اللغة ووجدت الحياة الاجتماعية، فجوهر الإنسان إنما يكمن في لغته وحساسيته وحياته الاجتماعية. والنظر في هذه العلاقات قديم لا ريب، غير أنه لم يستوي كمّاً ونوعاً وتنظيراً ومنهجاً إلا في عصرنا الحاضر في ظل فرع جديد من اللسانيات أطلق عليه اللسانيات الاجتماعية⁽²⁾ (Sociolinguistique).

هذه النزعة تعنى بدراسة الوظيفة الاجتماعية للغة. أي تدرس التبدلات الاجتماعية للغة في علاقتها بالمتكلمين الناطقين، من حيث السن، والجنس، والفئة الاجتماعية، والوسط، والمستوى المهني، والمستوى التعليمي؛ وتحليل العلاقة القائمة بين اللغة والممارسات الاجتماعية (العائلية، والدراسية، والوظيفية...); ثم تفسير الوظيفة الاجتماعية للغة؛ والاهتمام بقضايا لغوية واجتماعية كبرى تتعلق باللغة الأم، وموت اللغات، وعلاقة اللغة باللهجة والفصيحة، والثنائية والتعددية اللغوية، والأنظمة اللغوية المركبة والمعقدة، وتعدد اللغوي، والسياسات اللغوية، والتخطيط اللغوي*.

وإذا كانت اللسانيات البنيوية السوسورية تهتم بدراسة اللسان في حد ذاته، فإن اللسانيات الاجتماعية تدرس الكلام أو التلفظ في علاقته بالسياق التواصل الاجتماعي. وهذا له علاقة وطيدة بلسانيات الخطاب والتداولية والمعرفية.

تعريف اللسانيات الاجتماعية⁽³⁾:

هي العلم الذي يدرس اللغة من حيث علاقتها بالمجتمع، أو العلم الذي يحاول الكشف عن القوانين والمعايير الاجتماعية التي توضح وتنظم سلوك اللغة وسلوك الأفراد نحو اللغة في المجتمع⁽⁴⁾. وإلى جانب ذلك هو العلم الذي يدرس اللهجات الاجتماعية أو الطبقية في كل مجتمع لغوي من حيث خصائصها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية وتوزيعها داخل هذا المجتمع ودلالاتها على المستويات الاجتماعية المختلفة، كما يدرس أيضا مشاكل الازدواج اللغوي مثل "العامية والفصحى"، وبصورة عامة يدرس التأثير المتبادل بين اللغة والمجتمع⁽⁵⁾.

ومما سبق يذهب لابوف إلى تعريف المجموعة الكلامية على أساس من اتفاق "ما بين أعضائها من اتفاق ملحوظ في استخدام عناصر لغوية معينة، قدر ما تعرف على أساس اشتراك أفراد الجماعة في مجموعة من المعايير المشتركة في الأنماط العلنية للسلوك التقويمي، ومن خلال الأنماط الموحدة المجردة للتباين، والتي لا تتغير أو تتبدل في مستويات بعينها من استخدام اللغة"⁽⁶⁾، كما يهتم بالخطوط العامة التي تميز المجموعات

الاجتماعية من حيث أنها تختلف داخل المجموعة اللسانية نفسها، والوقوف على القوانين التي تخضع لها الظاهرة اللغوية في حياتها وتطورها، ومبلغ تأثيرها بما عداها من الظواهر الاجتماعية التي لها تأثير على اختيار الناس للغة، وما تحمله هذه اللغة من طوابع الحياة إلى المتكلمين، وطرائق الاستعمال اللغوي التي يكتسبها الإنسان من المجتمع⁽⁷⁾.

يطمح أصحاب هذا العلم إلى اكتشاف الأسس أو المعايير الاجتماعية التي تحكم السلوك اللغوي، مستهدفين إعادة التفكير في المقولات والفروق التي تحكم قواعد العمل اللساني، ومن ثم توضيح موقع اللغة في حياة الإنسانية⁽⁸⁾. إن اللسانيات الاجتماعية هي دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع. ومن الممكن أن يدرك دارسوا المجتمع أن حقائق اللغة يمكن أن تزيد من فهم المجتمع. لقد كانت اللغة وما زالت وستظل إحدى القوى التي ساعدت الكائنات البشرية على تطوير القدرة على التفكير وتنظيم الحياة الاجتماعية وتحقيق درجة التقدم التي عليها الإنسان اليوم، فاللغة سلوك اجتماعي يحدده المجتمع في المقام الأول وهي في الآن نفسه إحدى أهم وسائل نشاطنا العلمي والفكري والاجتماعي.

تنبني المقاربة اللسانية الاجتماعية على مجموعة من المرتكزات تتمثل في المكان الجغرافي، والعمر، والجنس، والأصل الاجتماعي، وسياقات استعمال اللغة. لذا، أثبت العالم الاجتماعي الأمريكي وليام لابوف (William Labov) صعوبة فصل اللغة عن المكون الاجتماعي الأساسي فيها. ومن ثم، أشار إلى أهمية ربط بنية اللغة بالسياق الاجتماعي العام الذي تنشأ فيه تلك اللغات، لدرجة استبعد فيها أي إمكانية للفصل بين اللسانيات وعلم اللغة الاجتماعي. وإذا كانت اللغة ظاهرة اجتماعية، فإن اللسانيات ذات بعد اجتماعي⁽⁹⁾.

وقد انتقد وليام لابوف كثيرا نظرية تشومسكي القائمة على فكرة مثالية مفادها أن اللغة ملكا للفرد والمتكلم باللغة، ومرد هذا النقد هو اعتبار لابوف أن اللغة الإنسانية وسيلة اجتماعية في التواصل، فالمهم بالنسبة إليه هو اللغة داخل المجموعة اللسانية المتكلمة بها، وليس اللغة كما هي على لسان الفرد⁽¹⁰⁾.

ظهور اللسانيات الاجتماعية⁽¹¹⁾:

ظهر هذا الفرع من اللسانيات كرد فعل على اللسانيات البنيوية المغلقة على ذاتها إبان سنوات الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، ورد فعل على لسانيات تشومسكي التي كانت تنادي بنحو عالمي تنضوي تحته كل الألسنة البشرية، مشيدة بدور الفرد المتكلم، معتمدة في ذلك على قواعد مثالية مجردة افتراضية وصورية، بعيدا عن الواقع والسياق التواصلية.

وقد هدف منوال لابوف الكمي⁽¹²⁾ إلى إلقاء الضوء على طبيعة التغيير في نظم اللغة وتنويعها، وإلى جانب هذا التصور ظهرت طرائق أخرى تتناول اللسانيات الاجتماعية في إطار الاهتمام بقدرات المتحدثين بشكل مباشر، وهذه المناهج ذات أبعاد نفسية واجتماعية وبيولوجية وفلسفة مشتركة، وتلمس طريقها من خلال

أنظمة الظاهرة اللغوية، ويكون التركيز على اللغة المتواصل بها فعليا ورائها هو جملة من الأسئلة تحاول الإجابة عنها كما يتصورها جون جامبيرز⁽¹³⁾:

- ما هي الاستراتيجيات التي يستعملها المتحدثون للاستمرار في المحادثة؟.
- ما وظيفة الانتقال من لغة إلى أخرى أثناء المحادثة أو داخل مجتمعات ثنائية اللغة؟.
- كيف تتجسد اللطافة والديبلوماسية التحاورية في استعمال اللغة؟.

في الوقت الذي يتداخل نموذج لابوف مع اللهجات واللسانيات التاريخية والجغرافية في إطار الصوتيات الوظيفية (phonologies)، والمورفولوجيا، والتركيب النحوي (syntaxes)، فإن الاهتمام باستراتيجيات المحادثة التواصلية تعالج من زاوية تداخلها مع التداولية (Pragmatique)، وعلى هذا الأساس فغن البحث في الظاهرة اللغوية في إطار التفاعل الاجتماعي هو حقل مترامي الأطراف.

من حيث التأسيس التاريخي للسانيات الاجتماعية في الثقافة الانجلوسكسونية نلبي ساپير (sapire)، يقول معلقا⁽¹⁴⁾، (كل منا يعرف أن اللغة متغيرة)، ومع هذا فإن الدراسة المنظمة للتنوع في السياقات الاجتماعية تعتبر موضوعا جديدا.

تختلف دراسة اللهجات الاجتماعية عن اللسانيات التوليدية وهي تكمل مشوار التراث الوصفي المتمثل في البنوية الأمريكية في طبعاتها البنوية والوصفية والتحويلية، فاللسانيات الاجتماعية لا تعتمد بشكل كبير على المحاكمة البديهية للمحلل أو الدارس في تقريره للصياغة السليمة للنظام اللغوي في صورته اللفظية، نعم إنها تجريبية النزعة وبناء على مجموعة من الإجراءات يتم تحليل المعطيات اللغوية المرصودة للمعينة.

من نافلة القول أن مكمن الاختلاف المركزي بين الوصفين ومخطط لابوف يتحدد في أهداف المشروعين، ومن الجلي والمعروف أن اللسانيات الأمريكية في ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين، لم تؤكد على استكشاف مواقف من اللغة المدروسة في مجتمعاتها، ولا على الكشف على نمط من تنوع اللغة داخل مثل هذه التجمعات، بل كان سعيها المنهجي والإجرائي هو وضع قواعد مطردة للغات المدروسة، إذ كان التوكيد على استكشاف أنظمة لغوية ووصفها مع قليل من الاهتمام بكيفية استعمال المتكلمين لهذه الأنظمة اللغوية استعمالا وظيفيا.

منذ خمسينيات القرن العشرين قام الانثروبولوجيون بتطوير تقاليد علمية تهتم باللغة في سياقاتها الاجتماعية، وتوصلوا إلى إيجاد أنماط لغوية هامة اجتماعيا في مجتمعات مختلفة، وعلى سبيل المثال التنقل بين لغتين كما يفعل الجزائري أمرا ابنه أو تلميذه بالجلوس في مكانه (أقعد في بلاصتك)، علاقة المستوى اللغوي بالبنية الاجتماعية (الكثير من الجزائريين وخصوصا شمال الوطن يستعملون مع الدارجة، العربية، واللغة الفرنسية وفي اعتقادهم أنها تعبر عن رقي مستواهم)، وكذلك استعمال الألفاظ المهذبة بين الأشخاص تدل على لطافتهم ودبلوماسية تعاملهم.

إذا اللسانيات الاجتماعية تتناول اللغة باعتبارها فعلا اجتماعيا، وظاهرة اجتماعية وتركز اهتمامها على حضور المجتمع بمستوياته وتجلياته في تحديد المتغيرات اللغوية من خلال.

أ/ مقام الكلام تداوليا وسياقاته الاجتماعية: يتحدد جنس الخطاب بالمقام الاجتماعي الذي ينتج فيه، وهوية المتخاطبين ومقام كل منهما الاجتماعي، وتدرك الأعمال اللغوية بأنها عمل اجتماعي، وفي إطار نظرية أفعال اللغة لاوستين⁽¹⁵⁾ فمجرد التلفظ بها يتشكل عقد اجتماعي ويخلق التزامات أخلاقية كالتلفظ بالوعد أو بالشهادة أو باليمين، الخ.

ب/ المقام الاجتماعي: تتغير الأعمال اللغوية الخاضعة للطقوس الاجتماعية بحسب طبيعة المقام. تتجسد هذه الأعمال اللغوية في ملفوظات نمطية يُنطق بها حسب المقام كالتحية والشكر وعدم التلفظ بما يחדش الحياء. ويسهم احترام نمطية هذه الطقوس الاجتماعية في الحفاظ على تماسك العلاقات.

ج- المقام المهني: تتميز كل مهنة بمجموعة من المصطلحات تستعملها للإشارة إلى الأدوات والإجراءات الخاصة بالمهنة. كذلك الألفاظ والتراكيب التي تُستعمل في حالات خاصة مثل الخصام والغضب والانفعالات والاجتماعات الشعبية أو الحميمية، الخ. ويضطلع بكل هذه المقامات علما التداولية وتحليل الخطاب اللذان يعتبران السياق اللغوي وغير اللغوي والمقامات وهوية المتكلمين ومقاصدهم عناصر أساسية في المعنى والتأويل.

تدرس اللسانيات الاجتماعية الكفاية التواصلية في ارتباطها بالموقع الاجتماعي للمتكلم على أساس متغيرات الجنس والسن والمستوى التعليمي والمركز الاجتماعي والمهنة. وعلى هذا ندرك أن الطبقة هي أساس التنوع والتغير اللغويين، أما المتغيرات الاجتماعية الأخرى فتحتل مكانة ثانوية وقد نوقشت من خلال علاقتها بالطبقة الاجتماعية، وفكرة الفروق الاجتماعية تنضوي في مشاغل اللسانيات الاجتماعية الكمية. فقد وظفت بحوث الطبقة الاجتماعية - الاقتصادية بوصفها متغيرا اجتماعيا رئيسيا.

اللسانيات الاجتماعية ومتغيرها⁽¹⁶⁾:

أ / الجنس: تتميز لغة المرأة عن لغة الرجل. فللنساء طريقة في النطق تختلف عما ينطق وفقها الرجال فيعرف بهذه أو بتلك جنس المتكلم فاسم (طارق) تنطقه نساء معظم الشمال الجزائري (تارق)، بل ويوصف من ينطق بطريقة النطق النسوي من الرجال بالتخنث أو بالرغبة في التشبه بالنساء. جاء في «لسان العرب»: «وحكى اللحياني أن نساء الأعراب يقلن في الأخذ: أخذته بدُبَاءٍ مُمَلٍّ من الماء مُعَلَّقٍ بِرِثْشَاءٍ فلا يزال في تَمْشَاءٍ، ثم فسره فقال: التَمْشَاءُ المَشْيُ»⁽¹⁷⁾. وهو دليل على أنه كان لنساء الأعراب وجوه في استعمال اللغة خاصة بهن. كما للمرأة ألفاظ تتواصل بها مع طفلها في مناغاته. ولا يستعملها الرجل.

ب/ المستوى الثقافي: في سياق دراسة الارتباط بين الوضع الاجتماعي والكفاية التواصلية يجب أن نميز بين صاحب المستوى التعليمي الراقى أو المتوسط مقابل صاحب المستوى التعليمي البسيط أو الأمي. من المهم، في دراسة الواقع اللغوي العربي، أخذ هذا المعطى بعين الاعتبار.

ج/ المركز الاجتماعي: تتميز لغة الخاصة عن لغة العامة بقلة عدد متكلميها مقابل فاعليتها. فإن الخاصة هي التي تمتلك وسائل الإنتاج المعرفي كما توجه هذا التحول أو تكبجه وتحاول تقويمه. وإذا احتفظت العربية بحيويتها في عصرنا هذا فالفضل في ذلك يعود إلى هذه الفئة الفاعلة.

د/ المهنة: لكل مهنة لغة خاصة بها تكون لمنتسبيها بمنزلة رابط. فالمختصون في حرفة معينة يأخذون مفرداتهم من معين اللغة العامة ويكيفونها للإشارة إلى أدواتهم ومختلف أعمالهم. وقد تخرج بعض الألفاظ أو التراكيب عن مجال الصنعة إلى المجال العام. فتغني اللغة بألفاظ جديدة وتسهم في تجديد الرصيد اللغوي. لذلك يقع على كاهل اللسانيات الاجتماعية إنزال التطور اللغوي الزمني واختلاف اللهجات ضمن مفعول المتغيرات الاجتماعية وتطور المجتمع باعتباره الحامل البيئي للغة.

اللسانيات الاجتماعية الكمية

لقد ركزت اللسانيات الوصفية والانثروبولوجية في مشاغلهما البحثية على الاختلافات المطلقة والقطعية في محاولات تمييز صيغ حقيقية فعلا منتمية إلى تنوعات متميزة نسبيا للغة، فإن للمنهج الكمي ميزة رئيسية تتمثل في تمكيننا من استعمال بدائل لغوية بتواترات نصية مختلفة، وبها نستطيع استكشاف أنماط من التوزيع في تجمع بشري ما، على أساس التفضيلات الأعلى والأدنى لتحقيق معينة لعناصر لغوية (مثلا تواتر صوت /ق/ مقارنة بصوت /غ/ في منطقة الحضنة والاغواط والجلفة)، وصوتي (ق، ج في اللهجة المصرية)، وصوت /ر/ في مقابل صوت /R/ في الفرنسية بين النساء والرجال.

لقد طور المخطط الكمي لكي يفسر بطريقة منظمة المتناظرات الاجتماعية للتنوع والتغير اللغويين، فقد طور لابوف⁽¹⁸⁾ منهجية علمية مع نمذجة السكان لتمثيل شامل وطرق واقعية توضح سلم الأساليب بدءا من أكثرها عامية إلى أعلاها فصاحة، وكذلك الطرق التحليلية المرتكزة على فكرة المتغير اللغوي، وفي مقامنا هذا فالمتغير هو متغير فونولوجي.

على الرغم من أن الأهداف النظرية لللسانيات الاجتماعية في منهجها الكمي هي في نهاية الأمر شرح لكيفية حدوث التغير اللغوي ولماذا يحدث؟، فمسألة العجز اللغوي هي مسألة بارزة ومثيرة للجدل، إن الفشل النسبي للأطفال في المدرسة قد يفسر على أساس لغوي، حيث يتم التعبير عن الأفكار بمعزل عن السياقات المقامية، ويشمل ذلك مهارات مقترنة بتعابير حرة السياق ذات قيمة عالية في النظام التربوي، ويمكن أن نعبر عن هذا العجز بأن الطفل الجزائري يتعامل في محيطه الاجتماعي بلغات كلها دارجة من لهجة عربية ولهجات أمازيغية إلى جانب اللهجة الفرنسية الجزائرية، فيذهب إلى المدرسة بهذه الترسنة اللهجية والمهجنة في الأغلب

الأعم فيمارس تعددا لغويا من خلال المنطوق الاجتماعي، وأحادية تربية في السنة الأولى ابتدائي وهي اللغة العربية، والتي يتعامل معها على اعتبار نمطيتها المؤسساتية، وبعد تشكل الفونيمات المرسومة للعربية يقحم في سياق الازدواجية المؤسساتية، وهي اللغة الفرنسية، التي تزامن النضج اللغوي الذي يتبلور في هذه السن (7-8) سنوات من عمر الطفل، فيصبح بالتجربة المعينة مشلولاً لسانياً. ومن ثمة ينبغي تفسير العجز والرسوب في منظومتنا التربوية، هو عجز لسانى يتأتى عنه عجز فكري، وفي هذه المرحلة تصبح القضية اجتماعية عامة، وهي في الآن نفسه تنطوي على اصطدام القيم بين ثقافة التلاميذ في مختلف الأطوار، والمعايير العامة للمنظمة اجتماعياً، وحينها لا تعود القضية فقر وعجز لغوي، بل العجز المتأني من الاختلاف اللغوي بين الواقع المكرس وبين المأمول المنمط.

التنوع الأسلوبي:

وقفنا سابقاً على مشغل اللسانيات الاجتماعية الكمية وهي تناقش طبيعة التنوع اللغوي بين المتخاطبين من خلال النظر إلى خصائصهما المتعلقة بالسن وبالجنس وبالعرق وبالهوية، ويحمل هذا التصور ضمناً كيفية تغيير اللغات، وهي قضية ترتبط إلى حد بعيد بقضايا التعليم، وبالطبع فإن طريقة اللسانيات الاجتماعية الكمية تسمح بان ينظر إلى لغة متحدثين أو أكثر على أساس توظيف أكثر أو أقل لعنصر لغوي معين لا على أساس الاستعمال من عدمه، كما تستعمل لمقارنة أساليب اللغة التي يستعملها المتحدث نفسه في مقامات ومناسبات مختلفة.

من نافلة القول أن المتحدثين العاديين ينوعون لغتهم ولغاتهم بشكل موسع حسب المواقف وكما أشار ويليام لا بوف⁽¹⁹⁾، إلى أنه ليس هناك متحدثون أحادي الأسلوب. وهذه القدرة على تنوع الأساليب صعبة الاكتساب بالنسبة للذي يتعلم لغة ثانية غير لغة الأم، وتسمى قدرة تنوع الأساليب بالمقدرة التخاطبية، وفي الثقافة الانجلوسكسونية علق ديل هايمز على ذلك بقوله: 'ليس هناك شخص عادي، أو تجمع بشري عادي مقيد في مخزونه اللغوي بتنوع أو شيفرة واحدة، أو برتابة غير قابلة للتغيير قد تحول دون إمكانية التعبير عن الاحترام، أو الإهانة، أو الجدبة الساخرة، أو حيز الدور... إلخ، وذلك بالتحويل من تنوع إلى آخر'⁽²⁰⁾.

الذخيرة اللغوية والأسلوب:

يعرف إجمالي الأساليب الكلامية المتوفرة لتجمع بشري ما على أنها ذخيرته أو مخزونه اللغوي، ويتعلم المتكلمون الاختيار من هذا المخزون لتحقيق حاجات تخاطبية متعددة، إذ هناك أساليب لغوية مقيدة اجتماعياً، والباحث الكمي يتبنى طرق كثيرة لدراسة المقدرة التخاطبية، وهناك طرق ناجحة في فحص طرق الدلالة على المعاني مثلاً، التهكم، والعدوانية، والاحترام، والود، هي البدء في فحص التوجه النفسي-الاجتماعي للمتكلم مع شريكه في المحادثة على محورين، البعد الاجتماعي أفقياً، والتضامن 'الود' عمودياً، وكثير من اللغات تمتلك أنظمة قواعدية تسمح للمتخاطبين بتمييز هذه العلاقات بطريقة رسمية كاستعمال ضمير الجمع للمفرد (المتكلم معظماً نفسه نحن).

أنواع الذخيرة اللغوية:

توجد تجمعات بشرية ومناطقية يمتلك متحدثوها منافذ للمخزونات اللغوية تسمح لها بالتنقل بين اللغات التي يعتبرها الآخرون لغات مختلفة أو لهجات مختلفة للغة نفسها، ومثال ذلك التعدد اللهجي للغة العربية الفصحى، والجزائر في تنوعها اللغوي واللهجي اكبر حقل للسانيات الاجتماعية الكمية، فالمتكلم فيها يتكلم اللغة العربية الفصحى إن كان متعلما، ويتكلم اللهجة العربية المهجنة، و إلى جانب ذلك قد يكون أمازيغي أو متمزغن من الشاوية إلى الشلحية إلى التارقية إلى القبائلية إلى المزابية، وإلى جانب هذا المخزون المتعدد الذي قد يكون لدى شخص أو عدة أشخاص، تنضاف إليه اللغة الفرنسية كلغة تعامل في الكثير من المناطق وخصوصا الشمالية، فهذا المجموع من اللغات الوطنية من عربية و أمازيغية إلى جانب الفرنسية، هذا المخزون المتعدد لدى المتحدث الجزائري لا يشعر معه بالانتقال من لغة، أو لهجة إلى أخرى مع انه ينتقل، ويغير الخطاب من لغة إلى أخرى في نفس الوقت، وهو يتحدث مع غيره، وهذه المخزونات لا يمكن في الحقيقة التمييز بينها بنويا عند المتحدث الجزائري، بالنسبة للمكون العربي في هذا المخزون في الأصل أن يكون هو الأساسي لارتباطه بعدة عوامل هوياتية وقومية وعرقية... واللغات داخل المخزون مختلفة اختلافا نوعيا كالعربية والفرنسية من حيث الهوية والعقيدة والقومية، فالمتحدثون ينتقلون بين الأساليب من منطلق ديناميات نفسية اجتماعية والتي بدورها تكتنف أنواعا مختلفة للتحويل اللغوي متشابهة، ولا تتوفر الدلائل الكافية على أن هذه الثنائية كانت ظاهرة مؤقتة وقد تختفي مع تحول المجتمع إلى اللغة العربية. وهناك عدة عوامل أثرت بوصفها حقا للمحادثة على سبيل المثال، حضري بدوي، رجل امرأة، محور المحادثة، البعد الاجتماعي بين المتحدثين، وهذه كلها تؤثر في اختيار اللغة بطريقة مماثلة كما على الاختيار الأسلوبى كذلك⁽²¹⁾.

التهجين والتحويل اللغوي التحويلي:

رأينا أن الانتقال اللغوي وكأنه اختيارا بين جزئين من مخزون لغوي واحد، فاللغات الخليفة أو المهجنة في التجمعات الثنائية اللغات يناوب المتكلمون بين لغة وأخرى في المحادثة، بل حتى في القول الواحد نفسه. ونظرا للمواقف السلبية حول اللغات المختلطة كهذه بشكل عام، وللطبيعة اللاشعورية لسلوك الخلط اللغوي فإنه لمن المعقول طرح السؤال بوظيفة هذا السلوك، إذ رأينا أن لغات متباينة في مخزون ما قد تكون وظيفية من حيث كونها تنقل مجموعات مختلفة من القيم الاجتماعية، وقد أكد غومبيرز⁽²²⁾، إن للتحويل اللغوي التحويلي أو الخلط اللغوي وظيفة بلاغية أو تخاطبية، وهي طريقة يمتح بواسطتها المتحدث من مصادر لغوية مختلطة ومختلفة لأغراض تواصلية.

لقد حاولنا من خلال هذه الوريقات معرفة التطور الحاصل في الطرائق والاهتمامات المعاصرة التي انبثقت عن الأنواع التقليدية للدراسات الانثروبولوجية، فقد صممت طرائق لابوف للإجابة عن أسئلة حول طبيعة التغيير والتنوع اللغويين، ابتداء بتحليل الصيغ اللغوية بتركيز الباحثين على طبيعة قدرات المتحدث

وسلوكه أي بفحص المتحدث والسياق الاجتماعي قبل الانتقال إلى فحص علاقة سلوك المتحدث اللغوي بذلك السياق، والأهداف والطرائق بتبصر عميق لطبيعة العلاقة بين اللغة والمجتمع.

ويمكننا أن نقول إن اللسانيات الاجتماعية تغطي مساحة واسعة من البحث في مقومات الظاهرة اللغوية، وتتداخل جزئياً مع حقول أخرى منها الأنثروبولوجيا وعلم اللهجات.. وترتبط بعض القضايا التي رأيناها فيما يتعلق بالتحويل الأسلوبي ارتباطاً وثيقاً بالتداولية اللسانية، والتحوارية أو التفاعل الحواري، وذلك فيما يخص العناصر المتعلقة بالتحليل السياقي للمتخاطبين، كما تصب محاورات هذا العمل وتتداخل مع حقل التعليمية وهندستها.

الخلاصة:

وخلاصة القول، تهتم اللسانيات الاجتماعية بدراسة احتكاك اللغات، ورصد الدخيل والتداخل والخلط اللغوي، ومقاربة التهجين اللغوي، ومناقشة الثنائية والتعددية اللغوية، ومعرفة علاقة اللغات باللهجات المنبثقة منها. فضلاً عن الاهتمام بتصحيح اللغة، وجودة اللغة، وتقعيد اللغة، والأمان اللغوي، والتلوث اللغوي، والسياسة اللغوية، والتخطيط اللغوي... أي: دراسة اللغات في علاقتها بالأفراد، والمجتمعات، والمؤسسات. وقد تجاوزت اللسانيات الاجتماعية مثالية اللسانيات البنوية والتحويلية القائمة على الاستنباط والطابع الافتراضي الصوري المجرد، بالانتقال إلى الطابع التجريبي الاستقرائي الميداني والمختبري.

هوامش البحث:

- 1- ينظر أعماله، the social، University of Pennsylvania Press. 1972b. and. sociolinguistic patterns. Labov. W. stratification of English in new York city. Center for applied linguistics. Washington Dc 1966.
- 2- د. هادي نهر: علم اللغة الاجتماعي عند العرب، طبعت الجامعة المنتصرية، ط1، 1988 م، ص 9. وينظر كذلك، عز الدين صحراوي: اللغة بين اللسانيات واللسانيات الاجتماعية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بسكرة، ع5، صص 145-156.
- 3- د. هديسون: علم اللغة الاجتماعي، (ترجمة، محمود عياد)، عالم الكتب، ط2، القاهرة، 1990، ص ص 12-14، وينظر، د. كمال بشر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد، الناشر مكتبة الشباب، ص 52.
- 4- وينظر، عبد الكريم بوفرة: علم اللغة الاجتماعي، مقدمة نظرية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، المغرب، ص: 11.
- 5- د. هادي نهر، المرجع السابق، ص 25.
- 6- Labov. W. Language in the inner. University of Pennsylvania Press. 1972a P24. وينظر كذلك، هادي نهر، علم اللغة الاجتماعي، ص ص 23-24.
- 7- د. هديسون: علم اللغة الاجتماعي، مرجع سابق، ص 24.
- 8- Labov. W. 1972a. p292.

- 9 عبد الكريم بوقرة: علم اللغة الاجتماعي، مقدمة نظرية، ص:13
- 10 السابق ، ص 16.
- 11 د، هـسون: علم اللغة الاجتماعي، (ترجمة، محمود عياد)، ص ص 15-17 .
- 12 ينظر اعمال لابوف (Labov.W.(1966 - 1972a).
- 13 Gumperz. J. Discourse strategies. Cambridge University Press. Combridge.
- 14 Sapire . E. language. macmillan. 1921. New york. P147
- 15 اوستين: أفعال اللغة ، 1961
- 16 د، هـسون: علم اللغة الاجتماعي، (ترجمة، محمود عياد)، ص ص 18-21.
- 17 ابن منظور: لسان العرب، مادة (م ش ي).
- 18 Labov .W. 1972a.P 292
- 19 Labov .W. Language in the inner. University of Pennsylvania Press.1972a. P 240 .
- 20 Dell Hymes. 1967 P8.
- 21 Rubin J. National bilingualism in Paraguau. Mouton . the Hague. 1968 P 109.
- 22 Gumperz. J. Discourse strategies . PP 87-133
- عبد الكريم بوقرة: علم اللغة الاجتماعي، مقدمة نظرية، مطبوع جامعي، جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، المغرب، الموسم الجامعي، ص:11